REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

المجلة التَّاريخيَّة المصْريَّة

مجلةٌ عِلْمِيَّة مُحَكَّمَة تُصْدِرُها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع	رقم الإيداع بدار الكتب
2401-1687	99/9440
الترقيم الألكتروني	الترقيم الدولي
3354-2735	977-5366-11-9

لنشر الأبحاث بالمجلة
يرجى الإرسال من خلال موقع المجلة على بنك المعرفة
https://jejh.journals.ekb.eg

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون : ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨
Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المجلة التاريخية المصرية

REVUE EGYPTIENNE DES ÉTUDES HISTORIQUES

تُصدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات ـ الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد

رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

eegyptian.historical2021@gmail.com

المجلد السادس والخمسون

القاهرة

٢٠٢٢م

هَيْئَة التَّحْرِير

أ.د. أيمن فؤاد سيد ـ رئيس التحرير
أ.د. جمال مُعَوَّض شَقْرَة
أ.د. أحمد زكريَّا الشَّلْق
أ.د. خَلَف عبد العظيم الميري
أ.د. أحمد الشِّرْبِيني السَّيِّد
د. محمَّد فوزي رَحِيل ـ سكرتير التحرير

الَهيْئَة الاسْتِشَارِيَّة الدَّوْلِيَّة للمَجَلَّة

أ. د. إبراهيم القَادِري بوتْشِيش (المَغْرِب)
أ. د. عَلَاء الدِّين عبد المُحْسِن شَاهِين (مصر)
أ. د. أحمد رَجَب محمد علي (مصر)
أ. د. محمَّد م. الأُرْنَاؤوط (كوسوفو)
أ. د. إسْحَاق تاوَضْرُوس عِبِيد (مصر)
أ. د. محمَّد صَابِر عَرَب (مصر)
أ.د. أشْرَف محمَّد مُؤْنِس (مصر)
أ. د. محمَّد السَّيِّد عبد الغَنِي (مصر)
أ. د. تُرْكِي بن فَهْد آل سَعُود (السَّعُودِيَّة)
أ. د. محمَّد عِيسَى الحَرِيرِي (مصر)
أ. د. جولييت رَسِّي (لُبْنَان)
أ. د. محمُود إسْماعِيل عبد الرَّازِق (مصر)
أ. د. حسين سيِّد عبد الله مُراد (مصر)
أ. د. مُنِيرَة شَابُوتُو رِمَادِي (تُونس)
أ. د. السَّيِّد فِلِيفِل (مصر)
Prof. Dr. Sylvie DENOIX (France)
أ. د. عاصِم أحمَّد الدِّسُوقي (مصر)
Prof. Dr. Albrecht FUESS (Germany)
أ. د. عبد الكَرِيم مَدُون (المَغْرِب)
Prof. Dr. Nicolas MICHEL (France)
أ. د. عبد الله بن محمَّد المُنِيف (السَّعُودِيَّة)
Prof. Dr. Tetsuya OHTOSHI (Japan)
أ. د. عَفَاف سَيِّد صَبْرَة (مصر)
Prof. Dr. Michel TUCHSCHERER (France)

تصميم الغلاف : محمد أشرف عبدالمقصود
الإخراج الفني والتنفيذ: ياسر السيد عبدالعزيز

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو الناشر

المحتويات

النَّباتاتُ الطِّبِّيَّةُ مُسَكِّنَةُ الْآلَامِ فِي مِصْرَ القَدِيمَةِ ٧-٥٢

د. رجب عبداللطيف محمد محمد

نَقْلُ المَوْتَى فِي مِصْرَ خِلالَ العَصْرِ الْرُومَانِيِّ فَى ضَوْءِ الوَثَائِقِ البَرْدِيَّةِ ..

الباحثة/ فاتن على حسن عبد المطلب ٥٣ - ٨٦

قِفْطُ فِي العَصْرِ البِيزَنْطِيِّ (٢٨٤ – ٦٤١ م) ..... ٨٧ - ١٤٨

د. محمد عبدالشافي محمد محمود المغربي

كُورَةُ القَيْسِ فِي صَعِيدِ مِصْرَ (الفَتْحُ، والِاسْمُ، وَمَظاهِرُ الحَضَارَةِ)

٢١- ٦٣٥هـ/ ٦٤٢- ١٢٣٧م ..... ١٤٩ - ١٨٦

د. عمر بكر محمد

اَلْجُذُورُ التَّارِيخِيَّةُ لِدَوْرِ الأَتْرَاكِ فِي اضْمِحْلَالِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ

«أَشْناسُ أُنْموذَجًا» ..... ١٨٧ - ٢٠٦

أ.د. محمد عثمان عبدالجليل

المَدَارِسُ الْوَقْفِيَّةُ فِي مَدِينَةِ فَاسَ خِلالَ العَصْر المَرِينِيِّ ..... ٢٠٧ - ٢٤٤

أ.د. حسين مراد

دَوْرُ الجَيْشِ فِي الأَعْمَالِ المَدَنِيَّةِ فِي مِصْرَ زَمَنَ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ بن

قَلَاوُونَ (٧٠٩-٧٤١هـ/١٣٠٩– ١٣٤٠م) ..... ٢٤٥ – ٢٩٨

د. محمد فوزي رحيل

تابع المحتويات

بَعْضُ جَوانِبِ الحَياةِ الِاجْتِماعيَّةِ والِاقْتِصاديَّةِ فِي الأَنْدَلُسِ مِنْ خِلالِ كِتابِ اَلْرَوْضِ المِعْطارِ لِلْحميَرِيِّ (ت٧٢٧هـ/١٣٢٦م) ٢٩٩-٣٥٦
د. محمود كامل محمد السيد عبد الكافي

مُؤَسَّسَاتُ ضَبْطِ الحُدُودِ القشْتاليَّةِ مَعَ غَرْناطَةَ فِي القَرْنَيْنِ الثّامِنِ والتّاسِعِ الهِجْرِيَّيْنَ / الرّابع عَشَرَ والْخامِس عَشَرَ المِيلَادِيَّيْنِ ..... ٣٥٧ - ٤١١
د. أميرة الطواب أحمد سفين

دورُ الوقفِ في نشوءِ بعضِ المـدنِ في المناطقِ الألبانيةِ خلالَ الحكم العثمانيِّ ..... ٤١٣ - ٤٢٨
محمد موفق الأرناؤوط

مَوْقِفُ مِصْرَ مِنْ مَطالِبِ اسْتِقْلَالِ السُّـودَانِ فَى الفَـتْرَةِ مِنْ ١٩٤٢–١٩٥٦ ..... ٤٢٩ - ٤٧٨
أ.د. أحمد عبدالدايم محمد حسين

مَشْروعُ المَمْلَكَةِ العَرَبيَّةِ المُتَّحِدَةِ وَمَوْقِفُ حَرَكَةِ فَتْحٍ مِنْهُ «دِراسَةٌ فِي مَصادِرِ فَتْحٍ» ..... ٤٧٩ - ٥٠٦
د. عصام محمد علي عبد الحفيظ عدوان

بَيْنَ صَلاحِ الدِّينِ وَجَمالِ عَبْدِ النَّاصِرِ: أَزْمَةُ الكِتابَةِ التَّاريخيَّةِ فِي الخَمْسِينِيَّاتِ والسِّتِّينِيَّاتِ ..... ٥٠٧ - ٥٢٦
الباحث/ حسن حافظ عبد الحفيظ عدوان

The Role of Exile in the Era of the Bahri Mamluks (1250 – 1382) 1 - 562
Dr. Sami S. Abdulla Al-Makazeem

المجلة التاريخية المصرية ٥٦ (٢٠٢٢) ١٨٧ - ٢٠٦

اَلْجُذُورُ التَّارِيخِيَّةُ لِدَوْرِ الأَتْرَاكِ فِي اضْمِحْلَالِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ «أَشْناسُ أُنْموذَجًا»

محمد عثمان عبدالجليل(*)

ملخص

اعتمد العباسيون منذ قيام دولتهم على العناصر الاجنبية، وكان لذلك الأمر أثر خطير على الدولة على المدى البعيد.وكان لتواجد العنصر التركى دور مؤثر على مجرى الأحداث فى الدولة العباسية بعدما استعان بهم الخليفة العباسى المعتصم بعدما إنف الاعتماد على العنصرين العربى والفارسى، ولم يكن هذا العنصر خادم لمصالح الدولة بقدر ما كان مصدر ازعاج، فقد دأبوا على معاملة سكان بغداد بكل جفوة، مما كان سبب فى المطالبة بخروجهم منها. ويهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء حول بداية الدور التركى فى اضمحلال الدولة العباسية،حيث دأب العديد من المؤرخين على تحديد عهد الخليفة المتوكل كبداية لدور العنصر التركى فى اضمحلال الدولة العباسية، وهو عكس الحقيقة. فبداية هذا الدور كان فى عهد الخليفة المعتصم، لأنهم سعوا فى تلك الفترة فى التخلص فيما تبقى من النخبة العربية المقربة من البلاط العباسى، وعملوا على فرض سيطرتهم على مفاصل الدولة بداية من الخليفة حتى أصغر مسؤل. وقد اثبت الباحث الوسائل والعوامل التى أوصلت الترك إلى هذه المكانة، مع بعض

(*) أستاذ تاريخ العصور الوسطى، معهد البحوث والدراسات الآسيوية – جامعة الزقازيق.

الشواهد على ذلك من التراث. كما أوضح الدور الخفى الذى لعبه القائد التركى أشناس الذى صعد نجمه من مجرد غلام مغمور إلى شخص يتقلد ويتحكم فى ما يقرب من نصف الدولة العباسية، ويتحكم ويوجه سياسة الخلفاء حسب رغبته.

Abstract

This research aims to shed light on the beginning of the Turkish role in the decline of the Abbasid state, as many historians have been defining the era of Caliph Al-Mutawakkil as the beginning of the role of the Turkish element in the decay of the Abbasid state, which is the opposite of the truth. The beginning of this role was during the era of Caliph Al-Mu'tasim, because they sought in that period to get rid of what remained of the Arab elite close to the Abbasid court, imposing their control over the joints of the state, starting from the Caliph to the smallest official. The researcher has proven the means and factors that led the Turk to this position, with some evidence of that from the heritage. He also explained the hidden role played by the Turkish leader Ashnas, whose star rose from a mere obscure boy to a person who controls and controls nearly half of the Abbasid state, and controls and directs the policy of the Caliphs according to his desire.

إن واقع مسيرة التاريخ العربى الإسلامى أفرزت العديد من الظواهر السياسية والتى لم تكن مؤلفة أو معروفة، إلا أنها كانت استجابة لظرف تاريخى فى مرحلة من مراحل تلك المسيرة.

وقد شارك العباسيون ارستقراطية الفرس فى الحكم، ولكن طموح هؤلاء ورغبة بعضهم فى إرجاع سلطان الفرس ومجدهم فى الوقت الذى كان يحرص فيه العباسيين على سلطانهم، كل ذلك أدى إلى التنكيل بزعماء الفرس ووزرائهم، كما أدى إلى سوء العلاقة بين العباسيين وبين تلك الارستقراطية الفارسية[١].

---

[١] بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، نال الفرس بعض أمنيتهم لا أمنيتهم كاملة، فأمنيتهم الكاملة أن تقوم دولة فارسية بملوكها وعمالها، ورغم اقتناع الخلفاء العباسيون أن دولتهم قامت على أكتاف الفرس، وكانوا يحفظون للفرس معونتهم؛ فلم ينسوا في نفس الوقت عروبتهم، وبمجرد شعورهم بأن الفرس يزاحمونهم في سلطانهم لم يتوانوا في التنكيل بهم كما نكل المنصور بأبي مسلم والرشيد بالبرامكة والمأمون بالفضل بن سهل، انظر:

والملاحظ أنه رغم تفضيل العباسيين فى الغالب للعنصر الفارسى، فإنهم على الجانب الآخر لم ينهوا الكفة الأخرى العربية، وهذا ما أدى إلى استمرارية الصراع والتنافسية خلال هذا العصر. وأمام ذلك الوضع المشحون بالصراعات لجأ الخليفة المعتصم للاتراك[1]، فقام بوضع الخلافة تحت سيطرتهم، وكان لذلك الأمر أثره الكبيرعلى المدى الطويل على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالدولة العباسية.

إن دراسة التاريخ العباسى لا تعنى بالضرورة التفصيل فى دراسة الخلفاء بقدر التركيز على إصلاحاتهم وأعمالهم الداخلية والخارجية التى انعكست بالسلب أو الإيجاب على الدولة، ولما كان تطور المناهج التاريخية يرتبط بتعدد الرؤى

أحمد أمين: ضحى الإسلام، مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٤٣-٤٤.

(١) عادة ما يستخدم المؤرخون العرب مصطلح ترك ليشيروا الى كل الاتراك مهما تنوعت أنماط حياتهم المعاشية، وقد شمل ذلك بطبيعة الحال الاتراك البدو. والأتراك هم الذين يسكنون البلاد الواقعة وراء الصغد وأشروسنة وفرغانة والشاش.والترك هم جيل من الناس وهو الجيل الذي يقال له الديلم والجمع أتراك واسم تركستان هو اسم جامع لجميع بلاد الترك، وإن بلادهم شديدة البرد وقد وردت كلمة ترك أول ما وردت في القرن السادس علمًا على شعب من البدو. وفي عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه تم فتح بلاد طبرستان، ثم عبر المسلمون نهر جيحون سنة ٣١هـ، ونزلوا بلاد ماوراء النهر، فدخل كثير من الترك في دين الاسلام، وأصبحوا من المدافعين عنه والمشتركين في الجهاد لنشر دعوة الله بين العالمين. وفى العصر الأموى اختلط العرب بالترك، ودخلوا في الجيش الاسلامى، حيث ذكر البلاذرى أن عبيدالله بن زياد عاد إلى البصرة بخلق كثير من بخارى، وفرض لهم العطاء واتخذ منهم ألفين في جيشه سنة ٥٤هـ، ثم زاد توجدرويدا رويدا حتى بلغوا الصورة التى ظهرت في العصر العباسى، انظر:
البلاذرى(أبى العباس أحمد بن يحى): فتوح البلدان، تحقيق عبدالله انيس الطباع، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٤٦٨، حازم فرج لطيف الخيلانى: حصار المدن في الدولة العربية الإسلامية ١٣٢-٦٥٦هـ، ديلى، ٢٠٠٥م، ص ٢٩، زكريا كتابجى: الترك في مؤلفات الجاحظ ومكانتهم في التاريخ الإسلامى حتى أواسط القرن الثالث الهجرى، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م، ص٢٤-٢٥.

وتجددها باستمرار، فقمنا باستعارة المنهج الميكروسطوريا بهدف دراسة حالة وصورة مصغرة من المجتمع ومدى تأثيرها المستقبلى على المجتمع ككل.

ولدراسة اشناس التركى كفصيل لتلك الجذور التاريخية التى ساعدت على انهيار الدولة اضمحلال الدولة العباسية وسوء أوضاعها يتطلب الأمر دراسة الظروف التى شكلت ودعمت ظهور تلك الحالة. فالأتراك لم ينالوا هذه الحظوة بين عشية وضحاها، ففى بعض الأحيان تكون نقاط الضعف كامنة فى الدولة تأسيسها، إلا نواحى القوة توقف تأثير تلك العوامِل لبعض الوقت، وما أن تضعف هذه النواحى حتى تستفحل وتلعب دورها المنتظر.

وبالعودة إلى الوراء لفترة وجيزة من عمر الدولة العباسية نجد أن وصية الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ)لأولاده الثلاث(الأمين- المأمون- المعتصم)سنة ١٨٦هـ أسست من بعده لأوضاع مستجدة لم يضعها فى حساباته، والتى أدت بعد وفاته سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٩م إلى انقسام أركان الدولة وتزعزع ثوابتها، إذ فتح السبل لقوى مختلفة بالسعى للاستحواذ على السلطة والتفرد بها، فطال ذلك ما رسخه العباسيون من ثوابت، وانعكس ذلك بالتالى فيما بعد على التركيبة الاجتماعية ومنظومتها الفكرية[١].

فوصية الرشيد لم تكن بالوثيقة التى رتبت لتداول السلطة بين أولاده الثلاثة من بعده بقدر ما كانت تقسيمًا لمناطق النفوذ والسلطة.فاستقرار الأمر للخليفة المأمون(١٩٨-٢١٨هـ) لم يعنى الاستقرار القادم للدولة، فظهور ما يعرف بالمتطوعة (الفقهاء والمحدثين)جذب العديد من الفئات الاجتماعية للدولة.

---

[١] علق الطبرى على حادثة ولاية العهد قائلًا" ولما قسم الأرض بين ابنائه الثلاثة، قال بعض العامة: قد أحكم أمر الملك، وقال بعضهم: بل ألقى بأسهم بينهم، وعاقبة ما صنع في ذلك مخوفة على الرعية"، انظر:
الطبرى(أبى جعفر محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابوالفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤م، جـ٨، ص ٢٧٦.

ومن ثم فقد ترتب على ذلك صراع ثلاثى داخل الدولة بين سلطة الدولة ممثلة فى الخليفة المأمون والمرجعيات الدينية ممثلة فى الفقهاء والمحدثين والقوة العسكرية الممثلة للجيش الغالب عليه حينذاك العنصر الفارسى المترقب للموقف. وقد عمق هذا الانشقاق عدة أحداث كان من أهمها:

- الاقامة بمرو مما جعله فريسة سهلة لرغبات وزيره الفضل بن سهل، وكان أهمها عزل طاهر بن الحسين عن بغداد وتعين الحسن بن سهل، وإرسال هرثمة بن أعين إلى خراسان، مما أدى إلى انتشار الفوضى فى بغداد[١].
- إعلان المأمون الإمام على بن الرضا موسى الكاظم وليًا للعهد وتخليه عن السواد الشعار الرسمى للعباسيين، مما ساعد على توحيد قوى المعاضة وإعلانهم فى سابقة هى الأولى من نوعها خلع الخليفة المأمون ومبايعة ابراهيم المهدى بالخلافة.كل هذه الأمور أدت إلى توتر الخليفة المأمون، وهو ما دفعه بعد ذلك إلى التنكيل بزعماء الفرس ووزرائهم[٢].

---

(١) بعد مقتل الأمين والمناداة بالمأمون خليفة فكَّر الفضل بن سهل في نقل العاصمة إلى المشرق في خراسان، وأخذ يُعِدُّ لذلك عُدَّتَهُ، فاضطرب لهذا الأمر العراقيون عامة والهاشميون خاصة، وخافوا أن يعلن الفضل بن سهل نقل حاضرة الخلافة إلى هناك، فأخذوا يفسدون عليه خططه ويستهينون بأوامره ورسائله التي تردهم من المأمون ووزيره الفضل، فحدثت عدة فتن نذكر منها: خروج محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن العلوي بالكوفة على الخلافة بتشجيع القائد أبي السرايا السري بن منصور الشيباني، خروج إبراهيم بن موسى بن جعفر العلوي باليمن واستيلاؤه عليه وفتكه بالناس فيه، حتى سمِّي الجزار لكثرة من قتل من الناس في سبيل الاستيلاء على اليمن حوالي سنة ١٩٩هـ، ثورة الجند ببغداد على الحسن بن سهل لقتله هرثمة بن أعين، وغيرها من الفتن والأحداث، ولمزيد من المعلومات، انظر:
ابن الطقاطقا(محمد بن على بن طباطبا): الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر بيروت، د.ت، ص٢١٧، ابن طيفور(أبو الفضل أحمد): كتاب بغداد، دار الجنان، بيروت، د.ت، ص١٠٠-١٠١، محمد سعد اطلس: عصر الازدهار، تاريخ الأمة العربية(الجزء الخامس)، مؤسسة الهنداوى للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٧م، ١٢٤-١٢٧.

(٢) يقول ابن العمرى" حين عقد المأمون البيعة بالعهد لعلى بن موسى الرضا قال له: يا أمير المؤمنين إن هذا الأمر لا يتم فأعفنى منه فلم يعفه" انظر:

إن الصراع بين فئتين أو شعبين لابد وأن تتوالد فى نهايته هزيمة قاسية تصيب المتخاصمين وتضعف من كيانهما ووجودهما، وهذا ما حدث للعرب والفرس،عندما تركا صراعهما يقوى ويشتد فقوى عنصر ثالث، عمل على الحد من قوة الاثنين معًا، وهو ما أفسح المجال أمام العنصر التركى.

ومما تجدر الإشارة إليه أن النظم العسكرية فى العصر العباسى شهدت تطورات مهمة،منها تحول نظام الجندية من نظام " الأمة المقاتلة" الذين كان معمول به خلال القرن الأول الهجرى وجزء من القرن الثانى الهجرى، إلى الجيش النظامى الذى يتوافق مع اتساع الدولة العباسية، التطور الثانى هو تخلى الخلفاء العباسيين عن قاعدة أساسية فى تكوين الجيوش الإسلامية فى أن تقوم أساسًا على العرب،وأباحوا للعناصر غير العربية الدخول فى الجندية إلى جانب العرب مثل الخراسانية والموالى والفرس والترك[١].

وكان الجيش العباسى يتألف حتى عهد المعتصم من العناصر الفارسية بصفة أساسية، إلى جانب العناصر التى كانت أقل شأنا وعددا من الاتراك. وقد ضعفت ثقة

ابن العمرى(محم بن على بن محمد): الإنباء فى تاريخ الخلفاء، تحقيق الدكتور قاسم السامرائى، دار الافاق العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٩٨.

(١) شكل العصر العباسي تحولا هاما في المؤسسة العسكرية الإسلامية، فبعدما كان الأمر في صدر الإسلام والعصر الأموي يقوم على أساس أن كل مسلم قادر مسجل في ديوان العطاء مستعدًا للقتال، وينضم للحملات العسكرية للجهاد في سبيل الله وحماية الدولة والدفاع عنها، وبانتهاء الحرب يعود المقاتلة إلى أسرهم في المدن والأمصار. ولكن الدولة العباسية منذ نشأتها بدأت خطة جديدة لبناء جيش نظامي محترف، يتكون من فرق من الجند المحترفين، ولم يكن لديهم عمل آخر غير العسكرية، حيث يتدربون في وقت السلم، ويتقاضون عطاؤهم ويقاتلون وقت الحرب، انظر:
فاروق عمر فوزى: الجيش والسياسة فى العصر الأموى ومطلع العصر العباسى (٤١هـ/٦٦١م - ٣٣٤ هـ / ٩٥٦ م) دراسة تاريخية، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص ٩٩-١٠٠، راجع ايضا:

المعتصم بالفرس حين رأى أن كثير من الجند قد تعصب للعباس ابن أخيه المأمون، ورغم نجاحه فى القضاء على تلك الأزمة، فإن هذه الحادثة لم تمر على الخليفة المعتصم دون أن يفكر فى تفادى وقوع مثلها، لذلك رأى الاستعانة بقوة جديدة ليس لها الطموح الفارسى، أو التعصب العربى، وهداه تفكيره فى نهاية المطاف إلى التوسع فى الاستعانة بالعنصر التركى، والاعتماد عليه بشكل كبير مستقبلًا.

وحيال ذلك الأمر نجد أنفسنا أمام أكثر من تساؤل، ما هى مكانة الاتراك ووضعهم قبل عهد الخليفة المعتصم، كيف تزايد عددهم وانتشارهم، ومدى تأثيرهم فى مجرى الأحداث تلك الفترة؟ وماذا عن مقدرة المعتصم فى التحكم فيهم وتوجهيهم؟، وهل كان المعتصم على صواب أم خطأ فى الاعتماد عليهم بهذا الشكل، ثم يبقى السؤال الأكثر أهمية حول شخصية والدور الفعال والمحورى الذى لعبه القائد التركى اشناس فى التأثير على الأوضاع السياسية للدولة العباسية.

فى بداية الأمر كان الاتراك قبل الخليفة المعتصم متواجدين على شكل فصائل وكتائب قليلة منذ عهد الخليفتين أبى جعفر المنصور وهارون الرشيد، وبمرور الأيام نالوا رتب عسكرية كبيرة بحيث بدأوا يتدخلون فى أمور خارج نطاق مسئولياتهم العسكرية[١].

والجدير بالذكر أن العنصر التركى كان حريص على التواجد والصعود فى الأماكن المرموقة والقريبة من صناع القرار فى الدولة العباسية، فمن ناحية حرصوا على تأسيس روابط عائلية مع الأسر العباسية الحاكمة والتوغل داخل تلك الأسر، حتى أن الخليفة المعتصم عهد بتربية ابنه المتوكل إلى القائد التركى "ايتاخ"، والذى كان يناديه بكلمة "أبى". ومن ناحية أخرى حرصوا على تقليد العديد من المناصب الادارية والسياسية الهامة بالاضافة إلى مسئولياتهم العسكرية، مثل الشرطة،

(١) PIPES, D., "Turkes in Early Muslim Service", *Journal of Turkish Studies*, vol. 2,1978, p.88.

المعونة، البريد، الحجابة، وغيرها من الوظائف المهمة، مما جعلهم على دراية بكل مفاصل الدولة العباسية، وبمرور الوقت ازداد نفوذهم بالشكل الذى يعرف حديثا بمصطلح "الدولة العميقة"[١].

والملاحظ أن الخليفة المأمون زاد من أعدادهم،وتولوا العديد من المناصب الهامة ومن جملتهم" طولون"الذى أسس ابناؤه الدولة الطولونية فى مصر، كذلك حل ببغداد ايضا فى عهد المأمون كاوس التركى ملك أشروسنة الذى أظهر اسلامه وولاه على بلاده وكان من نسله القائد التركى الأفشين الذى سيرد ذكره فى السطور القادمة. ومن الطبيعى أن يكون للاتراك دور مهم فى نصرة المأمون فى صراعه مع أخيه الأمين. ويرى الباحث أن انتصار المأمون كان بمثابة تدعيم وتشجيع لظهور الميول الاقليمية داخل الكيان العباسى[٢].

كيفما كان الأمر فبعدما شاهد المعتصم ما للفرس من جراءة وتطاول بعد قتل الأمين حتى أصبح يخافهم على نفسه، كما أنه لم لديه ثقة بالعرب بعدما ذهبت عصبيتهم وأخلدوا إلى الترف وانكسرت شوكتهم، فالرفاهية والحضارة قد أضرت بالمسلمين وأذهبت منهم قوة التغلّب والفتح، فاستقر فى النهاية بأن يستعين بالأتراك ويتقوى بهم وهم لا يزالون حتى ذلك العهد أهل بداوة وبطش مع الجرأة على الحرب والصبر على شظف العيش، فجعل يتخيّر منهم الأشداء. وبعدما زاد عددهم وتكاثروا بالشكل الذى ضاقت بغداد بهم وصاروا يؤذون العوام في

---

[١] ابن خلدون(عبدالرحمن بن خلدون): تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر، ضبط المتن الاستاذ خليل شحاته، مراجعة الدكتور سهيل ذكار، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.، جـ٣، ص٣٢١-٣٢٢، فاروق عمر فوزى: الجيش والسياسة فى العصر الأموى ومطلع العصر العباسى (٤١هـ/٦٦١م-٣٣٤هـ/٩٥٦م) دراسة تاريخية، دار مجدلاوى للنشروالتوزيع، عمان، الاردن، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص١٦٨.

[٢] زكريا كتابجى: المرجع السابق، ص ١١٤-١١٥.

الأسواق فينال الضعفاء والصبيان من ذلك أذىً كثيرًا وربما رأوا الواحد بعد الواحد قتيلًا في قارعة الطريق، أخذ فى البحث عن موضع جديد ليكون مستقر له ولجنده الترك حتى أتى سامرّاء فاتخذها معسكرًا واختط فيها الخطط وأقطع أتراكه القطائع على حسب القبائل ومجاورتهم في بلادهم. وما زالت سامرّاء قاعدة الدولة العباسية من سنة ٢٢١هـ إلى أيام المعتمد فعاد إلى بغداد سنة ٢٧٩هـ. وهو أول من عاد إليها منذ بنيت سامراء[١].

---

(١) تقع سامراء على بعد حوالى ١٣٠ كم رأسا من شمال بغداد، شرقي نهر دجلة على أرض هضبية مرتفعة، وتتميز بأن موقعها يتوسط الدولة. وقد اهتم المعتصم بتخطيط المدينة تخطيطًا جيدا فجأت مبدعة من كل النواحى، بحيث قام بتقسيمها إلى خمسة شوارع رئيسة متوازية على طول المدينة، وفتحت شوارع فرعية على جانبي الشوارع الرئيسة. وبعث إليها بالمهندسين والبنّاءين وأهل المهن من الحدادين والنجارين وغيرهم، وحمل إليها الأخشاب والرخام وكل ما يحتاج إليه البناء. ونظرًا لما تمتعت به المدينة الجديدة من جمال قصورها الضخمة ومبانيها الرائعة وشوارعها المتسعة، ومسجدها الجامع وغيره من المساجد، فدعيت بـ"سُرّ مَن رأى". وتنسب بعض الروايات سبب اختيار المعتصم للرقعة التي أنشأ عليها سامرّاء إلى تنبؤ راهب، فيروي اليعقوبي أن المعتصم ارتاد موقع سامرّاء «فقال له بعض الرهبان نجد في كتبنا المتقدمة أن هذا الموضع يسمى سرّ من رأى وأنه كان مدينة سام ابن نوح، وأنه سيعمّر بعد على يد ملك جليل عظيم مظفر منصور له أصحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاة ينزلها وينزلون فيها» «ويذكر أيضا أن الرشيد تنبأ للمعتصم ببناء المدينة». وقد اتخذها المعتصم كمقرًا له ولجنده لتجنّب الأخطار الناجمة عن أن الاحتكاك بأهل بغداد قد يؤدي إلى تهديد خلافته، فغرضه دفاعي بالدرجة الأولى. وذكرت بعض المصادر أنه قام بنقل مقر إقامته من بغداد بسبب حوادث اصطدامات متفرقة حدثت بين جنده الأتراك وأهل بغداد الذين تأذّوا منها، ولمزيد من المعلومات، انظر،

ابن الاثير(ابو الحسن على بن أبى الكرم): الكامل فى التاريخ، تحقيق عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ، جـ٦، ص ٢٢، اليعقوبى(أحمد بن أبى عقوب): البلدان، تحقيق محمد أمين ضناوى، دار الكتب الجامعية، بيروت، د.ت، ٥٦، صالح أحمد العلي سامرّاء دراسة في النشاة والبنية السكانية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بغداد، ص٦١-٦٣، ابراهيم ايوب: التاريخ العباسى السياسى والحضارى، دار الكتاب العالمى، بيروت، ١٩٨٩م، ص٩٣-٩٤، راجع ايضا:

ALASTAIR NORTHEDGE & DEREK KENNET, "Archaeological Atlas of Samarra", *Samarra Studies II , 1*, The British Institute for the Study of Iraq 2015,p.34,

وبخروج المعتصم من بغداد معقله الحصين وموطن أنصاره إلى سامراء، أصبح الترك عاملًا مؤثرًا فى زعزعة قواعد الخلافة العباسية وقد ساعدتهم الظروف على التلاعب بمقدرات الخلافة، فقد أعلى المعتصم من شأن الترك المجلوبين وآثرهم على الفرس والعرب، حتى أنه أرسل لوليه فى مصر كيدر بن نصر بن عبدالله يأمره بإسقاط العرب من ديوان الجيش.وعملا للحفاظ على مراكزهم وكذلك على ارتباطاتهم مع الفئات الموالية لهم من جند ومسئولين عسكريين ومدنيين، كان على هؤلاء القادة الاتراك أن يهيئوا موارد مالية تكفى احتياجاتهم،فكان ذلك دافع لأن يعبثوا بمقدرات الدولة ومواردها لتوفير تلك الموارد.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الاتراك اشتد ساعدهم وقويت شوكتهم وغلبوا على أمور الدولة العباسية وخصصوها بعدما تمكنوا من إنقاذ الدولة من خطر بابك الخرمى[١]، وبعدما ساهموا بشكل مؤثر وفعال فى فتح عمورية، فتحول النفوذ لهم، وبعد أن كانت الدولة فى قبضة الوزراء الفرس أصبحت فى يد القواد الترك. وبعد أن كانت الأحداث فى الدولة العباسية ترتبط بأعلام الفرس كإبى مسلم الخراسانى والبرامكة وبنى سهل، ظهر تاريخ مرتبط أحداثه بأشناس التركى وايتاخ والأفشين، إذ كانوا القابضين على زمام الدولة والمتصرفين فيها.

ADAMO, N, "Sammara and its Canals", *Journal of Earth Sciences and Geotechnical Engineering*, Vol.10, No.3, 2020,pp.225-6

(١) بابك Babak أسم معرب من الفارسية Papak، وهو صاحب الثورة الكبرى (٢٠١-٢٢٢هـ)، وقد اختلف الناس حسب قول الدينورى فى نسبه ومذهبه، ويشير إلى أنه من ولد مطهر بن فاطمة بنت أبى مسلم، هذه الذى ينتسب لهم الفاطمية من الخرامية لا إلى السيدة فاطمة بنت رسول الله، وكان بابك الخرمي قد مزج بين الإسلام والمجوسية وأسس دينًا هجينًا وعمد إلى إصلاحات اقتصادية واجتماعية جذرية مما ساهم في بقائه عصيًا على الدولة العباسية عشرين عامًا إلى أن استطاع القائد التركي أفشين القضاء عليه انظر:
الدينورى (أبى حنيفة أحمد بن داود): الأخبار الطوال، مطبعة السعادة بمصر، الطبعة الأولى، ١٣٣٠هـ، ، ص ٣٨١.

وفيما يتعلق بأصل اشناس ودخوله فى كنف الخليفة المعتصم بالله، فإن المصادر التى لم تشر من قريب أو بعيد عن مراحل حياته السابقه، ومعظمها اكتفى بالقول أنه لما أخذ الخليفة المعتصم فى طلب الترك بعد توليه الخلافة واشترى من كان من بغداد من رقيق الناس، وكان ممن اشترى من هؤلاء اشناس التركى، وذلك اعجابا لقدرته وشجاعته،وكان حينذاك مملوكا لنعيم بن خازم ابن أبى هارون بن نعيم[١]. وفيما يدور حول شخصية اشناس فيقول ابن العديم أن أشناس كان إذا سكر عربد، وكانت امرأته غالبة عليه، وكان يخافها خوفا شديدًا، فإذا بلغها عربدته شدت عليها ثيابها وأخذت قوسها وسهامها، ووقفت بإزائه تشتمه وتهدده فينام، فشق ذلك على المعتصم، فبعثني إليها أنكر عليها فعلها، وأعرفها محل أشناس وجلالته، وأن هذا يغض منه، فقالت: ما أجيبك إلا بحضرته، فلما حضر قالت له: أتكره ما أفعله أم تحبه؟ قال: بل أحبه وأسربه، فقالت: ما عندي لك جواب غير هذا، قال، فرجعت الى المعتصم، فأخبرته فأمسك عنها، وهو ما يختلف شكلًا وموضوعًا عن اشناس القائد المغوار[٢]، وبتحليل ما سبق والشذرات المتناثرة فى المصادر الاسلامية، نجد أن أشناس كان يعيش بشخصيتين، الأولى الذكى الخبيث والمقاتل الشجاع، والذى أقنع الخليفة المعتصم ومن خلفه أن يقنعها ويمنحاه تلك المميزات غير العادية والتى أصابت حمق وحسد بعض أقرانه من القادة الترك وهو ما سوف يرد خلال السطور القادمة، وشخصية المغلوب على أمره أمام زوجته، وبطبيعة الحال فخضوعه بهذا الشكل تحت سيطرة زوجته له أسبابه، ولكن وللأسف فإن المصادر لم تتيح للباحث أى معلومة حول ذلك.

---

(١) يقول الطبرى أن من أطلق عليه أسم أشناس هو أبو اسحق بن الرشيد أثناء قيامه بالقضاء على تمرد مهدان بن علوان الحرورى ببزرجسابور سنة ٢٣٠هـ، انظر:
الطبرى: المصدر السابق، جـ٨، ص ٥٥٨.

(٢) ابن العديم(الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد): بغية الطلب فى تاريخ حلب، تحقيق دكتور سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت، د.ت، جـ١، ص١٩٢٠.

ومما تجدر الاشارة أن المعتصم لما انتهى من بناء سامراء وانتقل إليها سنة ٢٢١هـ، أشار اليعقوبي إلى التنظيمات الخاصة التي وضعها المعتصم للأتراك في سامرّاء فقال" إن المعتصم أفرد قطائع الأتراك عن الناس جميعا، وجعلهم معتزلين عنهم لا يختلطون بقوم من المولدين ولا يجاورهم إلا الفراغنة، واضاف قائلًا "وصيرت قطائع الأتراك جميعا والفراغنة العجم بعيدة عن الأسواق والزحام، في شوارع واسعة ودروب طوال، ليس معهم في قطائعهم ودروبهم أحد من الناس، لا يختلط بهم من تاجر ولا غيرهم ثم اشترى لهم الجوارة"[١]، ويؤخذ على ما قام به المعتصم من شراء الجوارى الترك ليتم التناسل من عنصر واحد، ومنعهم أن يزوجوا أو يصاهروا إلى أحد من المولدين إلى أن ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم إلى بعض وهو أمر يعظم من وحدة وقوة الاتراك، ويوجد عازل بينهم وبين بقية رعايا الدولة العباسية. وذكر البلاذري أن المعتصم عندما شيد سامرّاء أنزل أشناس مولاه فيمن ضم إليه من القواد كرخ فيروز[٢].ويذكر بيبز Pipes أن مقاطعة إشناس تقع شمال مدينة سامراء الحالية بمسافة ٧كم، وهذه المقاطعة ضمن منطقة كرخ سامراء، وقد أمر الخليفة المعتصم اشناس بأن يبني الدور والاسواق والمساجد ضمن مقاطعته، كما ضم اشناس عددًا من القادة الاتراك مع عوائلهم وأسكنهم في تلك المقاطعة. كما أمر الخليفة المعتصم اشناس ببناء سور محكم يحيط بمقاطعته كي لا يختلط مع أبناء العامة[٣].

---

(١) اليعقوبى: المصدر السابق، ص ٥٩، ابن الطقاطقا: المصدر السابق، ص ٢٣١.

(٢) البلاذرى: المصدر السابق، ص ٤١٧.

تشير الحفريات التى تمت من خلال فريق اثرى، أن قصر اشناس كانت تبلغ مساحته ٣٧٧*٢٤٦م، تفتح من خلاله بوابة رئيسية على شارع منطقة الكرخ، وبه مجموعة من قاعات الاستقبال فى الجنوبية المطلة على نهر مرير المنطلق إلى نهر دجلة، انظر:

ALASTAIR NORTHEDGE & DEREK KENNET, *Op Cit*, p.74.

(٣) PIPES, D., *Turkes*, p.91.

وقام الخليفة المعتصم بتعين اشناس واليًا على مصر عام ٢١٩هـ، وكان أشناس قويًا ذو بأس، فقام بتولية موسى بن أبي العباس نائبًا له على مصر، فتولى موسى بن أبي العباس ولاية مصر في رمضان عام ٢١٩ هـ بعد عزل المظفر بن كيدر عنها، استمر موسى على ولاية مصر إلى أن عزله أشناس في ربيع الأول عام ٢٢٤ هـ فكانت ولايته على مصر أربع سنين وسبعة أشهر، ثم ولى بعد منه مالك بن كيدر وهو ابن نصر الملقب بكيدر الذي توفى وهو والٍ على مصر عام ٢١٩ ووليها أخوه المظفر أيضًا لأربعة أشهر فقط، ولاهُ القائد التركي أبو جعفر أشناس نائبًا له ووالِيًا للخلافة العباسية على مصر. ويذكر ابن تغر بردى أنه تم الدعاء لأشناس على منابر مصر، وهو حدث الأول من نوعه بما يعنى مدى ما وصل إليه الاتراك بصفة عامة واشناس بصفة خاصة في يولى من يريد نائبًا عنه، وأن يتم الدعاء له على المنابر وفى ذلك مساواة للخليفة [١].

وبمرور الوقت تمكن الاتراك من تقوية وضعهم ونفوذهم منذ عهد المعتصم، حيث كلفهم بقيادة قواته ومنحهم وظائف هامة في الدولة، ومن ثم أصبحوا أصحاب قوة ونفوذ بعد القضاء على بابك الخرامى في العاشر من شوال سنة ٢٢٢هـ، والذى لعب الدور الأول في القضاء عليه القائد التركى الأفشين بمساعدة اشناس وايتاخ. كذلك دورهم الكبير والذى لا يمكن تجاهله في واقعة عمورية سنة ٢٢٣هـ لرد الاعتبار لما حدث في زبطرة[٢].

---

[١] ابن تغري بردي(جمال الدين أبى المحاسن يوسف): النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، قدم وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت، د، ت.، جـ٢، ص ٢٨١.

[٢] استغل الإمبراطور البيزنطى ثيوفيل انشغال الخليفة المعتصم في القضاء على فتنة بابك الخرمي، وقام بتجهيز جيشا ضخما بقيادته، بلغ قوامه أكثر من مائة ألف جندي، هاجم شمال الشام والجزيرة، ودخل مدينة "زِبَطْرة" التي تقع على الثغور، وكانت تخرج منها الغزوات ضد الدولة البيزنطية، وقد تمكن الجيش الجيش البيزنطى من دك حصون المدينة وقتل ما فيها من الرجال، وانتقل إلى "ملطية" المجاورة فأغار عليها، وعلى كثير من

على أية حال تجهز المعتصم جهازًا لم يتجهزه خليفة قبله من القوات والعتاد، وخرج في جيش ضخم يقدره البعض بنصف مليون جندي. وقام بتقسيم الجيش بحيث وضع أشناس على المقدمة، وأيتاخ وعلى الميمنة،و عبد الله بن دينار على الميسرة، بينما تولى هو طليعة الجيش، وكان ذلك في جمادى الأولى سنة ٢٢٣هـ، ولما وصل إلى منطقة سروج أرسل الأفشين أمامه وسار هو إلى طرسوس، والتقى جيش الأفشين بالجيش البيزنطى، كان النصر أول الأمر للبيزنطيين ثم انتصر الأفشين وتفرق جيش ثيوفيل. أما المعتصم ومعه أشناس فإنهما سارا إلى «أنقرة» فدخلاها دون أية مقاومة، ثم انطلق بعد ذلك نحو "عمورية"، ورغم حصانتها الشديدة فقد تمكن المسلمين في النهاية من فتح المدينة وغنموا فيها مغانم كثيرة، وكان لأشناس دور هام في تلك الحرب[١].

أثار صعود الترك غضب النخب العباسية التقليدية، الذين رأوا قوتهم تتضاءل لصالح الترك،مما دعى عدد من القادة العرب للتضامن من أجل وقف هذه المهاترات، مثل عمرو الفرغاني وأحمد بن الخليل بن هشام مؤامرة للإطاحة بالمعتصم واستبداله بابن أخيه نجل المأمون العباس. تزايد الشك في سلوكهم. وقد نجح اشناس في لعب دورًا رئيسيًا في الكشف عن تلك المؤامرة بعد سقوط عمورية. فقد تشكك أشناس في تصرفاتهم مما جعله يضعهم قيد المراقبة والملاحظة اليومية. وبادر أشناس بالكشف عن المؤامرة واعتقال المتآمرين، مع زملائه الترك،

الحصون، ومثّل بمن صار في يده من المسلمين، وسَمَلَ أعينهم، وقطع آذانهم وأنوفهم، وسبى من المسلمات فيما قيل أكثر من ألف امرأة، انظر:
ابن خلدون: المصدر السابق، جـ٣، ص٣٢٧-٣٢٨.

[١] الطبرى: المصدر السابق، جـ٩، ص ٧٠، ابراهيم ايوب: المرجع السابق، ص ٩٦.

إيتاخ و بغا الأكبر. وقد أدى ذلك إلى تطهير واسع للمؤسسة الفارسية التي خدمت العباسيين حتى ذلك الوقت، وإعدام ما يزيد عن سبعين من قادتهم. الهجر، وكانت الاستفادة الكبرى من كشف هذه القادة الاتراك بطبيعة الحال، وكان على رأس المستفيدين كان أشناس[١].

الجدير بالذكر أن أشناس كان الشخص الأكثر جنيًا للأرباح من تلك الأحداث المتلاحقه، فقد قام المعتصم بتسميته أميرًا على سامراء حين غادرها، وفي سنة ٢٢٥هـ، رفع قدره، وزاده سلطانًا حتى أجلسه في حضرته على كرسي، كما يجلس أمراء آل العباس، وتوَّجه ووشَّحه، وأشرف على زواج ابنته «أترنجة» للحسن بن الإفشين، ودعا إلى عرسه أهل سامراء، وكان الخليفة يباشر بنفسه تفقُّد الحاضرين إلى العُرس[٢] وفي نفس العام عُيِّن أشناس واليًا على ولاية عظمى تضم ولايات مصر والشام والجزيرة. وحين شارك أشناس في الحج في سنة ٢٢٦هـ، نال الكثير من التكريم في جميع محطة من محطات درب الحج المصري، حيث دعى له على كل المنابر التى مر بها من سامراء إلى مكة والمدينة، وسلم عليه فى هذه الكور كلها بالإمارة، يضاف إلى ذلك حدثا هام حيث استخلفه مكانه حين خرج إلى السن[٣].

---

(١) الطبرى: المصدر السابق، جـ٩، ص ٧٨. ابن مسكويه(أبو على أحمد بن محمد): تجارب الأمم وتعاقبهم، تحقيق سيد كسرو حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م، جـ٤، ص ٥٠-٥١.

(٢) ابن الجوزى(أبى الفرج عبدالرحمن بن على): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، دار المكتبة العلمية، بيروت، ١٢١٤هـ/ ١٩٩٢م، جـ١١، ص ٢٤.

(٣) السن مدينة على شاطئ دجلة عامرة وعندها يصب نهر الذاب إلى دجلة وبينها وبين الحديثة عشرة فراسخ، انظر:
الطبرى: المصدر السابق، جـ٩، ص ١٠٣، ص ١١٤-١١٥، زكريا كتابجى: الترك، ص ١٤٧.

ولعله من المفيد أن نؤكد أن الأمور اصبحت أكثر تعقيدًا لما ناله أشناس من افضلية اشعلت نار الغيرة فى قلب الأفشين، فأخذ يدبر المكائد للتخلص من المعتصم ومن حوله. و مرجع ذلك أن أحمد بن أبي دؤاد وزير المعتصم بلغه أن الأفشين يدبر لأمر ما، فأشار على المعتصم بالله بان يناصف الجيش بين الافشين وأشناس. ففعل الخليفة ذلك، فرأى الأفشين فى قرارة نفسه أن هذا الاجراء يقلل من أهميته كقائد عام للجيش، و طال حزنه و اشتد حقده. فقال ابن ابي دؤاد للمعتصم بالله: ان أبا جعفر المنصور استشار أنصح الناس عنده في أبي مسلم فكان جوابه ان قال: يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول "لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا"[١] فقال له المنصور: حسبك، ثم قتل أبا مسلم. فقال المعتصم بالله: حسبك انت أيضا يا أبا عبد الملك، ثم وجه إلى الافشين فقتله[٢].

على أية حال لم يحد مقتل الأفشين من تسلط الاتراك وازدياد نفوذهم فى ضعف وقلة حيلة المعتصم فى الحد من نفوذهم، وإذا كان المؤرخين قد تخاذلوا أو أغفلوا الحديث عن أفعالهم،فإن الشعراء كانوا أكثر الناس تفاعلًا مع هذه القضية. ففى خضم تلك الأحداث التى ظهر فيها بوضوح قوة ونفوذ الاتراك وبطبيعة الحال اشناس كأحد هؤلاء القواد أصبح اشناس والترك محل اهتمام الشعراء والأدباء بين المدح والذم، فهذا الشاعر صردر يذكره فى قصيدة له قائلًا

---

[١] القرآن الكريم، سورة الانبياء، الآية ١١٤.

[٢] الصقت الروايات العديد من الصفات غير الحميدة بالأفشين بعد اعدامه، فهناك من قال أنه مجوسى ووجد بمنزله صنم، وهناك من قال أنه بالكشف عليه وجد أنه غير مختون، انظر: الدينورى: المصدر السابق، ص ٣٨٣

جيوش من الأقدار تفنى عداته * بلا ضرب ايتاخ ولا طعن اشناس [١]

كما هجاه الشاعر العربى الكبير دعبل الخزاعي فى قصيدة مطولة، تضمنت صورة لما كان يكنه الناس من تفضيل المعتصم للترك، وما ناله الناس من افعالهم المشينة:

ملوك بني العباس في الكتب سبعة * ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك اهل الكهف سبعة * خيار إذا عدوا وثامنهم كلب
وإني لأعلي كلبهم عنك رفعة * لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم * وصيف واشناس وقد عظم الكرب[٢]

وفى موضع آخر عبر أحد الشعراء على تغلل الأتراك وسيطرتهم على الأمور قائلًا:

أصبح الاتراك مالكى الأمر والعالم * ما بين سامع ومطيع[٣]

على أية حال لم تسيطر حالة الغضب على الرعية وحدهم، فانتقل هذا الأمر إلى الخليفة المعتصم نفسه، ويظهر هذا الأمر فى بوضوح فى حديثه مع والى بغداد إسحاق بن إبراهيم، حيث قال له المعتصم: يا إسحاق في قلبي شيء أنا مفكر فيه منذ مدة طويلة. فقال إسحاق: قل يا سيدي فأنا عبدك وابن عبدك. قال المعتصم: نظرت

---

[١] صردر(الرئيس أبى منصور على بن الحسن): ديوان صردر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٤.

[٢] ديوان دعبل بن على الخزاعى، تحقيق الدكتور ابراهيم الأميونى، منشورات محمد على بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٣٨.

[٣] مشاعل عبيد جزاء العتيبى: تزايد نفوذ الاتراك في العصر العباسى ٢١٨-٢٣٢هـ، مجلة البحث العلمى في الآداب، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، مجلد ١٠، العدد ٢٠، ص ٥٢.

إلى أخي المأمون وقد اصطنع أربعة أنجبوا، واصطنعت أنا أربعة لم يفلح أحد منهم! قال إسحاق: ومَن الذي اصطنعهم أخوك؟ قال: طاهر بن الحسين؛ فقد رأيتَ وسمعتَ، وعبد الله بن طاهر؛ فهو الرجل الذي لم يُر مثله، وأنت؛ فأنت والله الذي لا يعتاض السلطان منك أبدًا، وأخوك محمد بن إبراهيم؛ وأين مثل محمد؟! وأنا فاصطنعت الأفشين؛ فقد رأيتَ إلى ما صار أمره، وأشناس؛ ففشلٌ أيُّه! وإيتاخ؛ فلا شيء، ووصيف؛ فلا مغنى فيه! فقال إسحاق: أجيب يا أمير المؤمنين على أمان من غضب؟ قال: قل. قال إسحاق: يا أمير المؤمنين، نظر أخوك إلى الأصول فاستعملها فأنجبت فروعها، واستعمل أمير المؤمنين فروعًا لم تنجب، إذ لا أصول لها! قال: يا إسحاق لَقاساة ما مرَّ بي في طول هذه المدة أسهل عليَّ من هذا الجواب. وقد سعى المعتصم أن يقضى على نفوذ تلك الفئة بفئة جديد من الجنود المغاربة، ولكن الموت لم يسعفه ليترك الاتراك يعبثون بالدولة ويشكلونها حسب رغبتهم[١].

ومما تجدر الإشارة إليه أن غالبية المؤرخين حملوا الخليفة المعتصم حالة الضعف والاضمحلال التى ألمت بالدولة العباسية وما حدث للخلفاء من بعده، واتهموه بقصر النظر في سياسته لاتخاذ الاتراك وتقريبهم له وكذلك أولاده من بعهده[٢]، وأنه كان كالأسير في عاصمته الجديدة، أموره بيد حراسه[٣]. كذلك منهم من رأى أن المعتصم أول الخلفاء الذين يبتدئ بهم عصر الضعف في الدولة العباسية؛ فكان ذا ثقافة محدودة وفي إدارته مستسلم لوزرائه، وفي خراجه عسوف، ولولا

---

(١) الطبرى: المصدر السابق، جـ٩، ص ١٢٢.

(٢) شاكر مصطفى: دولة بنى العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ايلول-سبتمبر ١٩٧٣م، جـ٢، ص ٤١٦.

(٣) فيليب حتى: تاريخ العرب طول، ترجمة أدوارد جرجى، دار الكشاف، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٥٣م، ص ٥٦١.

شجاعته وحزمه وحروبه ضد الدولة البيزنطية لما كان له مزية تُذكر، وهو في الحق خليفة عادي لم نرَ من يثني عليه من المؤرخين والكتَّاب إلا وزيره أحمد بن أبي دؤاد، فقد وصفه بالعقل وسعة الأخلاق ولين الجانب وجميل العشرة، إلا أن هذه الشهادة مجروحة لصلة الرجل القوية به، وإن مما يُذكر عن الرجل إكثاره من الأتراك وإفساده أمر الدولة بهم، ومات المعتصم في ربيع الأول سنة ٢٢٧ هـ، ودُفن بسامراء[١].

كيفما كان الأمر فقد توفى الخليفة المعتصم سنة ٢٢٧هـ، وخلفه الواثق(٢٢٧-٢٣٢هـ) وقد شهد عهد اتساع أكثر لنفوذ القادة الاتراك، حيث نالوا امتيازات كبيرة لم تكن في الحسبان.فقد فتح لهم بابًا جديدًا في مجال السياسة العامة، ولم يعد دورهم يقتصر على الجانب العسكري بل أصبحوا يتدخلون في إدارة الدولة، ففي سنة ٢٢٨هـ/٨٤٢م عقد الواثق لقائده. أشناس التركي وولاه جميع الولايات الواقعة إلى الغرب من سامراء وتوجه وألبسه وشاحين من ذهب،وولّى إيتاخ الجانب الشرقي من الدولة،ويعلق السيوطى على هذا الحدث قائلًا" وفي سنة ثمانٍ وعشرين استخلف على السلطنة أشناس التركي، وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجًا مجوهرًا، وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطانًا"[٢]. لقد ثبت الاتراك في عهد الواثق أقدامهم في الحكم، وحصل رؤساؤهم على نفوذ كبير، فبعد أن اضطر الخليفة أن يخلع على أشناس لقب السلطان معترفا له بحقوق تتجاوز نطاق المهام العسكرية فكان بذلك أول خليفة استخلف سلطانا،أسند إليه أعمال الجزيرة وبلاد الشام ومصر كما عهد إلى إيتاخ بولاية خراسان والسند وكور دجلة. ودليل أن الواثق كان يعتمد على أشناس اعتمادًا كليًا في تصريف كثير من الأمور العسكرية

---

[١] خليل ابراهيم السامرائى: تاريخ الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي ١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م، جامعة الموصل، ١٩٨٨م، ص ١١٧، أمينة بيطار: تاريخ العصر العباسى، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الرابعة، ١٩٩٧م، ص ٢٢٧.

[٢] السيوطى: المصدر السابق، ص ٢٤٨.

والمدنية أنه منحه ما يقرب من أربعين ألف درهم لسد نفقات تلك الخدمات[١]، وظل أشناس على ذلك حتى وافته المنية سنة ٢٣٠هـ ليسدل الستار على دور هذا الرجل الذى نجح في الصعود من مملوكا لنعيم بن خازم ابن أبى هارون إلى قائد جيش ثم سلطان يحكم ما يقرب من نصف الدولة العباسية أو أقل من ذلك،وقد تمكن هو واقرانه من فرض سيطرته المعنوية وأحيانا المادية على الخليفة، ونجاحه فى أن يدفع الخليفة المعتصم للقضاء على النخب العباسية التقليدية لصالحه ولصالح بنى جلدته، كما تمكنوا من السيطرة على مفاصل الدولة من السيطرة على الوظائف الحساسة بالدولة وبخاصة منصب الحاجب الذى يمكنهم من رصد كل شئ بالبلاط. كذلك على الرغم من أنه لم يكن الوالي الفعلي لمصر وبلاد الشام فكان يقوم بتعين نوابًا للحكم بدلًا منه. في عهد المعتصم وكذلك الواثق، امتدت سلطاته إلى الولاية العامة على جميع الولايات الغربية للدولة العباسية.

ومن ثم فليس من المبالغة القول أن الخليفة المعتصم كان أول من ساهم فى اضمحلال الدولة العباسية وضعفها على يد الاتراك الذين وصلوا للتحكم بعد ذلك فى خلع وتعين الخلفاء، حتى وصل الأمر فى بعض الحالات لسفك دمائهم.

***

[١] ابن العديم: المصدر السابق، ص ١٩١٩-١٩٢٠، ضيف الله يحى الزهرانى: النفقات وادارتها في الدولة العباسية، مكتبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٣٣١، محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، دار النفائس، بيروت، الطبعة السابعة، ١٣٤٠هـ/٢٠٠٩م، ص١٦١.